المحاضرة الثانية

اقسام البيئة

يتأثر الانسان بخصائص الوسط او المجال البيئي كما يؤثر فيه بقصد تحقيق ما ينفعه ولاستمرار معيشته فيه ، ويتكون الوسط البيئي بكل ما يتمثل فيه من عناصر متعددة سواء كانت عناصر طبيعية (اي ليس للإنسان دخل في نشأتها او وجودها) مثل التكوينات الصخرية واشكال سطح الارض والوارد المائية والخصائص المناخية والنباتات الطبيعية ومجموعات الحيوانات البرية او مظاهر بشرية (اي من صنع الانسان ونتائج انشطة المختلفة) مثل اقاليم المراعي التجارية والاقاليم واماكن تعدين الخامات المعدنية الخامات المعدنية والمناطق الصناعية والمراكز التجارية والعمرانية والحضرية وطرق النقل المختلفة ، وعلى هذا الاساس يقسم العلماء مكونات البيئة الى قسمين رئيسين هما :

اولاً : البيئة الطبيعية او الاساسية

هي كل ما يحيط بالإنسان من عناصر او معطيات حية او غير حية ليس للإنسان اي دخل في وجودها مثل الصخور وموارد المياه وعناصر المناخ والتربة والنبات الطبيعي والحيوانات البرية وغيرها وان كانت تبدو في ظاهرها منفصلة عن بعضها البعض الا انها ليس كذلك في واقعها الوظيفي ، إذ تعمل عناصر البيئة الطبيعية وفق حركة ذاتية من ناحية وحركة توافقية مع بعضها البعض من ناحية اخرى وفق نظام معين غاية في الدقة ولانسجامه تحكمه النواميس الكونية الالهية نطلق عليها النظام الايكولوجي الطبيعي .

خلقت البيئة الطبيعية بدقة وبقدر معلوم من قبل الخالق عز وجل بما يعطي الحركة الذاتية التوافقية لعناصرها وطبيعتها المتوازنة ، إذ يقول الباري عز وجل بسم الله الرحمن الرحيم انا كل شيء خلقناه بقدر). لذا فإنها بيئة قد حفظها الله تعالى من مخاطر الاشعاعات الكونية ومخاطر الشهب والنيازك التي قد تضل طريقها وتقع في مصيدة الجاذبية الارضية.

يتبين عند تحليلنا للبيئة الطبيعية من حيث سماتها وخصائصها على المستوى العالمي نجد انها تتباين من منطقة لأخرى تبعاً لاختلاف خصائص عناصرها ، فالتضاريس مثلاً للتصنيف البيئي نستطيع ان نميز بين البيئات المرتفعة (الجبال والهضاب) وبين البيئة السهلية المنخفضة (السهول والوديان والاحواض) ، وليس ثمة شك ان كل نمط من هذه البيئات يتباين تأثيره على الانسان تبعاً

لاختلاف تأثير عناصر كل منهما ومما يقال عن التضاريس يقال عن باقي عناصر او معطيات الطبيعة.

يتضح من خصائص البيئة الطبيعية ودرجة استجابتها للجهد البشري فإننا يمكن ان نصنف البيئات ال مجموعتين متباينتين هما :

١ – البيئات الصعبة

هي البيئات التي تتسم بخصائص تفرض او تضع امام الانسان الكثير من المعوقات او التحديات البيئية التي تحتاج بالضرورة الى جهد بشري ضخم وامكانات تقنية عالية للتغلب عليها ، ومن ثم فهي بيئات بطيئة الاستجابة ومن امثلة هذه البيئات (البيئة القطبية تفرض تحد حراري ، البيئة الجافة تفرض تحد مائي ، البيئة الجبيلية تفرض تحد تضاريسي ، البيئة المدارية تفرض تحد نباتي).

٢ – البيئة السهلة

هي البيئات التي تتسم بخصائص تيسر للإنسان فرص الاستغلال دون معوقات او مشكلات حادة ومن ثم فهي بيئات تستجيب بسرعة لأي جهد بشري ، ومن امثلة هذه البيئات (البيئات السهلية ، البيئات المعتدلة المناخ ، البيئات التي تتمتع بوفرة مواردها المائية وخصوبة تربتها ، البيئات الساحلية التي تتمتع بمياه عميقة وتعرجات وتخلو من الشعاب المرجانية.

ومما يجدر ذكره ان البيئات الطبيعية هي ميراث الاجيال المتعاقبة واللاحقة ومن ثم فان صيانتها والمحافظة على مواردها امراً ضرورياً كي تواصل دورها في اعادة الحياة دون مشكلات او منغصات.

هي البيئة الاساس التي تمثل عناصر مسرح حياة الانسان وموطن نمو وتكاثر العائلات الحية النباتية والحيوانية وتؤثر عناصر البيئة الطبيعية في غيرها من العناصر الاخرى وتتأثر بها ويكوَن هذا التفاعل نظم بيئية متعددة ومن ثم كان على الانسان العمل الحفاظ على مكونات البيئة الاساسية وصيانتها لضمان استمرار وجودة وهو ومن بعده من اجيال فيها ويزداد تكامل هذا النظم بتفاعل الانسان وهو الاخر مع كافة النظم والمعطيات البيئية الطبيعية وتعامله معها واستغلاله لها .

تقدم البيئة الطبيعية الاساسية عدداً لا يحصى من المعطيات والهبات وعلى الانسان ان يختار منها حسب قدراته وامكاناته بما يحقق منها منفعة له ، ومن ثم يختلف مدى استغلال الانسان للبيئة من مكان الى اخر بل وفي نفس المكان الواحد من زمن الى اخر.

ثانياً : البيئة الاصطناعية او المشيدة

تتضمن المظهر الحضاري والعمراني للبيئة وما فيها من ظاهرات بشرية اسهم الانسان في تشكيلها بما اكتسبه من قدرات وخبرات وامكانات علمية وتقنية وحضارية وثقافية ومن ثم فقد تتشابه بعض البيئات الاساسية من حيث بعض خصائصها الطبيعية (مثل البيئات الاستوائية في حوضي الكونغو والامازون وفي جزر اندونيسيا) إلا انها قد تختلف فيما بينها من حيث مظهر البيئية الاصطناعية او المشيدة وذلك حسب مدى استغلال الانسان لعناصر البيئة الطبيعية التي يعيش فيها.

يعد الانسان العامل الاساس في تشكيل البيئة الاصطناعية او المشيدة فهو الذي يقوم باستغلال كافة مصادر الموارد المائية في البيئة الطبيعية ويقوم ببناء السدود والخزانات وشق القنوات وتوفير المياه اللازمة للزراعة والاستخدامات الصناعية والمنزلية وتوليد الطاقة الكهربائية وادارة النفايات المختلفة في البيئة ، كما ان الانسان يشيد مسكنه سواء كان المسكن الريفي ام الحضري ويقوم بمد الطرق البرية وبناء المدارس والمستشفيات ومراكز الخدمات المختلفة وبناء المصانع واقامة المطارات والموانئ البحرية ومد السكك الحديدية وحفر الانفاق وتشيد الجسور.

فإذا ما حددنا المستوى الحضاري والتقني للبيئة الحضارية تستطيع ان نميز بين:

١ – بيئات متحضرة متقدمة

يملك الانسان فيها قدرة علمية وتقنية عالية للكفاءة تمكنه من استغلال موارد البيئة بما يحقق طموحاته ورغباته وتبرز فيها ايجابياته وهي ايجابية مقبولة إذا ما سخر الانسان امكانياته وقدراته في استغلال موارد بيئته دون استنزاف او تدهور ولكنها ايجابية غير مقبولة بل مرفوضة او تدميرية إذا ما سخر امكاناته بما يؤدي ويسهم في استنزاف وتدهور موارد البيئة.

٢ – بيئات نامية او متخلفة

يكون فيها الانسان ذو قدرات عليمة محدودة وتقنية بدائل تقلل من قدرته على استغلال موارد بيئته ومن ثم كثيراً ما يقف موقفاً سلبياً امام تحديات البيئة الطبيعية.

على ضوء درجة تباين المستوى الحضاري والتقني تتباين صور البيئات المشيدة بين بيئة الجمع والالتقاط والصيد البدائي وبيئة الرعي البدائي وبيئة الزراعة البدائية وبيئة الرعي التجاري (المتطور) وبيئة الزراعة الكثيفة والتجارية وبيئة الصناعة والتجارة وغيرها من الانشطة البشرية التي تكسب البيئة المشيدة ملامحها الخاصة بها.

واذا اخذنا الكثافة السكانية كمعيار للتميز بين البيئات المشيدة فاننا نستطيع ان نميز بين البيئات المكتظة بالسكان وبين البيئات المخلخلة سكانياً ، لذا فعلى ضوء درجة الكثافة السكانية تتباين انشطة الانسان وطموحاته في استغلال موارد بيئته ، ففي البيئات المكتظة بالسكان يميل النشاط البشري بصفة عامة ان يكون نشاطاً معتمداً على الايدي العاملة بالدرجة الاساس ، والعمران كثيفاً ومتقارباً ، بينما في البيئات المخلخلة سكانياً وتتوفر فيها مقومات الانتاج يميل النشاط البشري ان يكون معتمداً بالدرجة الاولى على الآلات الميكانيكية الحديثة والعمران فيها قليل الكثافة ومتباعداً.

تعد البيئة المشيدة بحق ترجمة صادقة لدرجة التفاعل بين الانسان وبيئته ، إذ تعكس مظاهرها ومعطياتها فقد استجابة البيئة الطبيعية لتأثيرات الانسان وقدراته التقنية من ناحية وفي الوقت نفسه تعكس درجة صعوبة البيئة وتحدياتها او درجة سهولتها ويسرها ومن ناحية اخرى ، ومما تجدر الاشارة اليه ان البيئة المشيدة ترتبط اساساً بالإنسان وتتصف بالدينامية والتغير المستمر بعكس البيئة الطبيعية التي تتسم بالثبات النسبي والتغير البطيء ومن ثم فان خصائص البيئات المشيدة تتغير من وقت لأخر وبشكل سريع احياناً تبعاً للتغير والتطور العلمي والتقني الذي يحققه الانسان.